مالك حداد

الشقاء في خطر

شعر

ترجمة: عبد السلام يخلف

منشورات وزارة الثقافة

منشورات الاختلاف

الشقاء في خطر

مالك حداد

الطبعة الأولى 2005 / 2000 نسخة

تصميم الغلاف : بشير مفتي

الإخراج : منشورات الاختلاف

بدعم من مديرية الفنون والآداب

تحت إشراف د. ربيعة جلطي

مالك حـــداد

الشقـــاء في خـطـر

شعـــــر

ترجمة عبد السلام يخلف

منشورات الاختلاف

إلى صديقي الشاعر الجزائري

أنت لست جزائريا وكفى ولذلك وحتى تكفل التضامن مع الآخرين عليك ألا تضخم سوى لا مبالاتك.

م.ح

أعلم بأنك تتساءل ما إذا كانت قصيدتك تساوي أغنية أكثر جأشا وهذا لا يهم. المهم يربض في أزمة ضميرك لأنك فهمت بأن لا وجود لتعارض بين القلم و الأغنية الأكثر جأشا.

لقد رجّك التاريخ بمعناه النبيل وأنت تحس بأن لك الحق في رجّه وهذا ما يشبه تماما الإحساس الذي يعترينا ونحن نقف أمام الأشجار التي حُكم على أغصانها أن تقص كي تصنع منها مؤخرات البنادق.

لا شيء أجمل من السلام...

لكي يصبح التاريخ حكايات وجب علينا أيضا حسم الخيار بين القيلولة عند جذع شجرة أو الأغنية الأكثر جأشا.

في التشريع الغريب للمفردات تلتحم كلمتا المهمة والواجب. لي جملة من الواجبات علي تأديتها وبعض المهام تنفيذها.

لم يكن قدرُ الغابات أن تتحول إلى قطعة خشب في مؤخرة البندقية ولم يكن قدر الأقبية الرطبة أن تعطي ملح البارود لتقتل الحياة.

لا تحصل الأعضاء دوما على الوظائف التي ترتجي.

أيا صديقي الشاعر، فلنمنح الذكاء بعض القلب ولنزرع في القلب بعض الذكاء.

أريد براكين عاقلة.

السعار هو صلع العقل والانفعال الصحي.

تغط ريشتك في الجداول التي تجر جثث الثعابين المنتفخة النتنة، الثعابين التي تمقت المياه النقية الطروبة.

محبرتك الينبوع: الإنسان في كلّيته.

في آخر معجم وآخر كتاب للمختارات أصبحت كلمة Héros تعني: الإنسان.

أعرف قلمك كما أعرف أطفالنا وطيبتنا. أعرف قلمك تماما كما حالة الحصار. كما الأصدقاء. كما وادي الرمال بدموعه البربرية الساخنة.

أعرف "كاتب ياسين" ومركزه في التاريخ.

أعرف كاتب ياسين وهو يجدد معرفته للإقامة في جسد لا يطوقه سوى الحمقى*.

و"محمد ديب" بإرادته الطيبة طيبة الدرس الجيّد...

أعرف "رولان دخان" Rolland Doukhan الذي فاقت أحلامه تمنياتنا حين قال:

حلمت بوطن شاعر...

أعرف "كراز" صاحب الأغنيات التي ستجيء.

أعرف "محمد العيد" الذي أدخل السجن لأنه كان في مستوى لغة غاضبة.

أعرف كذلك "جون سيناك" Jean Seynac الطافح بالموهبة والإمعان.

المخلص لوطنه الجزائر أكثر من إخلاصه لبهلوانيات القلم.

أعرف جميع هؤلاء. أصحاب البذلة المعاصرة منهم والجلابة. كلهم هنا حاضرون وهم يقولون لنا:

نحن جاهزون.

أيا هذا الشاعر صديقي. أعرف أن في قلمك دوما قطرة من التفرد.

******

يلد التاريخ حتى ولو كان مكبلا بالسلاسل.

كل شيء قادر على إدهاشنا.

الهندسة التي أصبح دورها قياس الزاوية القاتلة لدليل الارتفاع القابع فوق ظهر البندقية البشعة.

هذا لن يفيدني في شيء بالتأكيد...

وجب علي تقديم هذا الاعتراف الخطير:

كنت إذا ما ركبت القطار في صباي فمن أجل النزهة وعندما يلتصق أنفي بالنافذة الزجاجية أعتقد أن عينيّ ستريان دوما أعمدة تلغرافية لم تتعرض للقص.

أنت اليوم يا صديقي تنظر إلى ما أبعد من أنفك.

أبعد من واجهات المحلات التي لم تطأها قدماك.

أبعد من الأعمدة التي هناك في أقصى المسافة ترقّص السنونوات

عندما يمضي القطار...

عندما يمضي القطار...

الوقت الآن للاحترام.

أنت اليوم تنظر إلى ما أبعد من طرف البندقية و أبعد من طرف القلم.

يجب عليك أن تعادر يا صديقي كي تستمر.

لقد هدحك آراغوں Aragon حين أسماك عصفورا على غصن وإذا ما كان يرغب في رؤية احمرار وجهك فلم يكن ذلك من قبيل الزهو أو الخيلاء.

لقد فهم "ماياكوفسكي" جيدا لكنه كان وحيدا.

وحيدا مثل الحارس.

وحيدا مثل الإنذار.

كان وحيدا. شامخا. مأساويا. بهيا. لاذعا.

كان شاسعا مثل حواف الحقول.

ألصق أنفه بزجاج النهار.

هل سنعرف يوما لماذا تطاير الزجاج شظايا؟

إنك تتساءل ما العدو؟

العدو رجل له يدان ورجلان مثلك تماما لكنه لا يصدق الربيع إلا إذا رآه مشتا على الرزنامة.

إن كمال الإنسان يكمن في علم. في برتقالة. في خريف داف، دفء نهد امرأة نحبها. في كل رجال العالم الذين سيصافحون بعضهم البعض إذا لم تبتر أياديهم.

ستبلغ هذا الكمال بعد أن تقلب شقاءك رأساً على عقب.

تجوّل في الصحراء.

تجوّل مع صحرائك واجعل منها حكمة مثل وردة الرمل.

اجعل منها شيئا يكون في ذات الوقت حكمة و وردة.

أنت الآن هنا مستعجل. متشنج، لئيم. لؤمك الواعي هو أحسن مواهبك لأنك لم تصبح إلها بعد.

عندما تنتهي من تقليب شقائك ولؤمك رأساً على عقب سوف تتذكر الصيادلة. هؤلاء الرجال الصغار الباهتون الذين ما لهم من مهمة سوى توزيع المشروبات الصحية.

تحوّل إلى صيدلي وليقتلك الضجر خلف قواريرك الزجاجية. ليست لدى هؤلاء الرجال الصغار طموحات كبيرة لذا وحب الانتقام لهم. وجب تحويلهم إلى جداول ووديان وأنهار.

اجعل من المجرّات كرات ترميها في الفضاء لتتسلى بها.

كن بسيطا وطيبا.

ان أقصر طريق بين النقطة والنقطة ليس هو الخط المستقيم.

عندما يقصد الجندي الحرب فلا شيء يدفعه للفناء.

احترم الأزهار ولا تضعها في فوهة بندقيتك.

إذا جاءتك يوما ما في إحدى الأمسيات الساخنة الرغبة في القيلولة رجاء

فليكن ذلك في سفح جبل يكسوه البنفسج.

إن هذه المهنة متعبة حدا فيها تفقد الكثير من الريش ولكن مقابل ذلك

نبني الأغاني.

هذا ما قاله لي البلبل المغرد أفضل مني.

لبلبل يكتسي حجم النسور حين يتحدث عن الحرية.

اسمه المحرات.

اسمه السقي.

هذا البلبل اسمه: القمح، القمح، القمح...

لا تكن مثل القبّرة التي تسرق الحنطة و تستغل أزمة السكن المستعصية

كي تغرس أغانيها في الثلم الذي لم تحفر.

آنت تقرأ خطوط كف العالم

شخيرك يشبه صوت القاطرة وخجلك يشبه الحب الأول.

سوف تترحل كالجندي.

بعثر لؤلؤك ومزقه إربا إربا وتلك أحسن طريقة كي تجد سبيلك.

ذرهم يقولو...

ولكن ما الذي تمعله بحرقة الشوق؟

ما الذي تفعله بأزهار مايو؟

بقطع قوس قزح الذي يحتفل بقصص غرام سن العشرين؟

ذرهم يقولون...

أغلق فمك الكبير وتكلم. تكلم ولا يهمك ما إذا استمعوا إليك أم لا.

تمثالك سوف يشيده الآخرون.

تذكّر ما قاله ماياكوفسكي: "أنا أسخر من البرونز بالقنطار".

ما أطيب المجد الذي تبلغه الأغاني التي يُجهل أصحابها.

أسمِّيك الفلكلور لأنك أكبر من وطنك. أكبر من قارة.

أنت تسمعني جيدا: أنت الإنسان.

البس الجزائر نعلا فقد وجد قدماك الجندي/قدماك، قدماك/التروبادور نعلا على المقاس.

امش. يجب أن تمشي. أن تمشي على الدوام. المشي هو طريقتك في الانتظار.

أنت تكتب لأنك تحب. إذا لم تكن عاشقا فاترك القلم جانبا. فبرجليك الجندي/ وبرجليك/التروبادور سوف تشق الطرق والسبل المعطرة بالأساطير. المزروعة بالحلزون.

أغلق جهاز الراديو. لا تفتح الرسائل التي تجيئك. أنظر إلى أمك. ألا

ترغب في تقبيلها؟ الغد شيء رائع.

أنت طيار على شاكلتك لكنني أحدرك بأن محطات التوقف قليلة جدا.

سوف نحلّق إلى غاية وصيتك وأعلم أنك لن تبالي بذلك لأنك شاعر...

كل هذا يعني أن تصرخ به. أن تصرخ به حتى الحياة.

لن تكون هناك فوق حائط منزلكم لوحة تدل على الحامعة التي تتخرحت منها بالرغم من انك احسن بكثير من أصحاب الشهادات. انت نعت. أنت إنسان. لقد بنيت إنسانيتك...

أنت ذاك التوقع الرائع لنحار والدي هو نجار فقط وسيكون شاعرا.

للطبيب الجراح الدي هو جراح فقط وسيكون شاعرا. لكناس الشوارع الذي هو كناس الشوارع فقط وسيكون شاعرا... أنت ذاك الضوء الوافد علينا من النجوم بعد قرون من السفر.

أنت الآن تحاول أن تستحق القمم.

هنالك عاليا سوف يبدو فلمك الصغير شيئا غريبا.

سوف تداعب مقبض منكاشك بنفس الاحترام ونفس اللامبالاة التي تكنها لمومس سحية معيدة.

لقد أحسن ارغون القول.

اصمتوا الآن كي أستمع إلى قلبي.

ولكنك سوف يغني بطريقة محكمة.

يا إلهي. يجب ان تنتبه:

ان تكون في مستوى الرجال.

أيا صديقي الشاعر. أتوسل إليك.

انتبه حتى لا تنتابك نشوة المنتصر الذي يحتقر غزواته

لقد قاتلت من اجل العصافير.

ستكون حركاتك الدقيقة هي حركات الطيار وليست حركات الصياد الماكرة.

سوف تضاعف حبك وغريزة البقاء لديك.

يجب ان تفعل الجمال فقط. الفعل الاول الذي وجب تصريفه هو فعل.

سريعا أحذرك أنت لست بمغامر. افعل ما هو واجب عليك.

لنحلل الوضع قليلا يا صديقي.

عليك الكثير من الأشياء وصولا إلى الحنيات اللواتي تحولن إلى أوكسجين وهيدروجين.

للماء حساب معك

أنت تعلم، الماء في الجرة وليس داخل الكوب. الماء في بيته، في الينبوع.

سوف تشرب من الينبوع.

لا تفرق ابدا.

سوف تعرّفك الحمى على حماقتها.

سوف تشرب هناك فوق الجبل.

طعم الدم كريه.

أنا أفضل الندى.

لكن هذا ليس حجة لتمادي الجبل. أنت طيار وتعرف ذلك جيدا. نحن لا نذهب إلى الجبل إلا بسبب السحاب.

السحب كائنات شريرة. للسحب أحيانا تجاعيد مثل تلك التي فوق الجباه التعيسة.

يجب أن نعري عيوننا.

أنا متأكد أنه باستطاعة الماء أن يحيا من دون الأوكسجين والهيدروجين.

كان يقال لنا في المدرسة. التويج، كأس الزهرة، البتلة وكنت أجيب: الزعتر. لم أر أبدا نبتة الزعتر لذلك أهز كتفيّ. كتماي على ظهري. لي كتفين فوق ظهري وها أدخل الحياة وبين أصابعي غصن زعتر.

اني أغني باللغة المرنسية. يا صديقي الشاعر. إذا ما استهجنت لهجتي عليك أن تحاول فهمي.

لقد أراد الاستعمار أن تكون لدي عاهة لغوية...

******

إذن هناك فوق الجبال سيعم الحزن والفرح والقدر المحتوم مثل المهمة

المستهبة. سوف نحدث الكثير من بقع الحبر فوق كراسك المدرسي وتنتقي مخطوطاتك. في البداية قالمة . قرقور قبل كل شيء، مثلا سيول . متلا أورادور . مثلا فيركور . مثلا أوكرانيا ..

وهذا الحطب الذي يرضى بمحي شعلته حين اكون الشاهد على الغابات التي سننتقم لها...

انهض آيا هذا الذي يعرف أن الإنسان هو الذي يختار السبيل وأننا يجب ان نكبر

سوف تقول: في فم آمالك دوما كلمات باللغة الفرنسية. هذا غير مهم لأنه يمكن لكلمة الجزائر أن تنطق حتى باللغة الصينية

نعم آيا آراغون هذه هي دراما اللغة * .

لو كنت أتقن الغناء لغنيت باللغة العربية...

******

لم يكن العسل يوما على خط ولكن لا أحب في النحل سلوكها البراغماتي. أما الأزهار فنعم. كلهن صديقاتي. أعرفهن جميعا. يا إلهي. أعرف حتى أسماءهن. سورنجان قابع في الحقول أو شوك اقسى من قلب إمبريالي

بلى. فرائحة الحقد تنبعث مني و إني لافتخر حين كتبت:

أنا

يصدمني الحقد

مثل البذاءات

قبل كل شيء نا عاشق...

رائحة الحقد تنبعث مني أي نعم. حقدي متشبع بالحكمة مثل الأكلة الضرورية للحياة. ثق أنا هذا فلم تكن لدي يوما شهية كبيرة.

شهيتكم نتنة أيها السادة...

سوف تحاول ان تستحق القمم.

سوف تعلن عن اغنيتك ذات الحضور الاستثنائي.

أنت لست ولا يجب ان تكون ولا تستطيع أن تكون ضد فرنسا. استمع جيدا. لقد لمحت في هذه الامسية شيخا بقي مشتغلا بمحله إلى ساعة متأخرة من الليل. وكان صديقي الاسكافي يقص شريحة الجلد ويتناول قطعة جبن. أصابعه ثقيلة واثقة، بمكنتها أن تصافح الأيادي، أن تخيط الشرائط المزخرفة للعائع من مانو او أن تصفع وجه شخص سمج.

يجب الا تنسى هذا الشيخ الذي كان ياكل الجبن حين قال لي: لن اسمح لنفسي أبدا ان احيط حذاء عسكريا.

ها انه يغادر باتجاه الجزائر للمشاركة في حرب لم يعلنها أبدا. فرنسا هي هذا الرجل. فرنسا ليست هي العدو. قد يكون هذا الشيخ الذي كان يعمل في محله الى ساعة متأخرة من الليل هو أحد اقارب ديسفوس

Desnos أو بول إيلوار Paul Eluard. التاريخ بهدا المعنى لم يكن أبدا تصمية حسابات.

******

احيانا تعتري القوارب فشعريرة عربية. لا تندد في اعنياتك بصرنسا بل بهؤلاء الفرنسيين الذين يحعلوسي أتردد في وضع حرف كبير لبداية الكلمة التي تدل على جنسيتهم. المرنسيون الذين لم يكنوا اي احترام لدلك الشيخ الدي ربما كان احد أقارب ديسنوس او بول إيلوار .

هناك حين تبلع القمم. حين تستحق القمم تكون يداك نظيفتين.

لا فرح يأتي من الغضب.

ليس في مقدور اي اغنية مقاومة السهول التي لا ترضى سوى أن تكون ميدانا للقتال. والجسور التي تدمر الآن يا صديقي لدليل على انه من الواجب أحيانا رد اليد التي تود مصافحتنا.

ايا صديقي الشاعر. إذا لم تنعم الأعمدة التلغرافية بنغامتها وذهبت أشجار البرتقال لتنام قليلا. اعلم أن هذا الانهيار العصبي شيء ضروري. ما زلت أسمع صوت ذلك الرحل الذي قال بباريس يوما

حطّموا

لعموا الجسور

كي نرقص أخيرا

ثم أضاف عقب ذلك

في الزوايا الاربعة للعالم

استمع وسأنادي عليك.

كان ينادي على السلام.

******

أفضل الثلج. الثلج الذي دسته الوحوش

لقد سرقوا منا كل شيء.

انا متيقن من ان قطعة الحطب التي تشتكي حين تشتعل في مواقدنا تروي غضب وحبس الاشجار التي غدت أخمصا في بندقية أو عصا للقمع.

وحتى الرعد. لو كان قيل للرعد يوما أن الكهرباء سوف تحول عائلة روزنبرغ Rosenberg إلى كمشة كربون لكان صرخ عاليا: تبا. لقد أسيء استعمالي...

أعرف تمام المعرفة حزن السواقي. فنحن ندفع دوما للسيد شوبير القوة المدنية ثمنا للسمك الرديء.

******

سوف أعيد كلامي.

هناك بعض الصيادلة الذين ليست لهم صيدلة لكن عقاقيرهم لا تصاب بالضجر داخل الأدراج.

كذلك هم الشعراء.

أنتم الصيادون الذين لا تمسكون الأسماك إلا لتمنحوها مياها أعذب.

أنتم الصيادون الذين لا تلاحقون القبرات إلا لمداعبة مشروع احراش أكثر راحة.

أيها الشعراء المجانين بعض الشيء، أصحاب الحكمة البليغة. أنتم ربان المغامرة العادلة" على درب الأفكار لكم حق الكلام الآن.

البعض يستحوذ على جبل افرست والبعض الآخر على زهر اللؤلؤ، على فكرة أبهى من سمكة العجوم. على خاطرة أكثر درامية وسمو من صورة البلبل المنحني الذي راح يمنع ضوء القمر بعض النغمات التي سوف يهديها لصديقه بيبرو".

ليس في مقدورك يا صديقي الشاعر سوى الاستحواذ على المغامرة" العادلة".

لكل غابة مكتشفوها.

أنت المغامر" الذي تطارد حيوان الأروي البليد والعفيف في آن. حين أقول تطارد معناه أنك تخرجه من زاويته و تفرض عليه سيادة الغزالات.

أنت المغامر الذي تروج الملحمة الساحرة.

أنت كريستوف كولومبس أكثر حكمة. متسلق جبال الهدوء، غواص في العقل الحقيقي، ليس لديك نزعة سوى الثأر للأشجار التي وشحت حديثا منذ قليل.

أنت رجل في خدمة الرحال.

قبل أن يغادرنا فوسيك Fussik ... كان طلب منا توخي الحذر.

في زمن الاحترام لا يكون الحذر سوى بالسلاح.

أيا صديقي الشاعر. أنت أكبر من أن تكون ضيق التفكير ثم أن احتقارك للحمقى يدفعك للحذر.

******

إلى جانب الباقات أنا.

الشاعر أكثر من متحزب، فهو يحلق فوق وطنه مثل نسيمة الحرية.

النسمة مشبعة بالوطنية ونشيدها وطني أيضا.

لا تبعث الغيرة لدى الأصابع فما تهمني هي اليد.

ما علي سوى التلويح بقبضتي وها أسراب النحل قادمة.

مالك حداد

كليرمون فيرون، أفريل 1956.

هوامش

* Kateb Yacine, Le Cadavre Encerclé, Editions Esprit, juillet 1954.
** Louis Aragon, "Un roman qui commence" in Lettres Françaises
*** Julius Fussik, Ecrits sous la potence, Editions Seghers

باحثا عن السمو كنت

فلا تتصت إذن

ها أنا أندد بالزهرة المنتهية فوق الصخور

كم يسعد الشاعر الصامت

لكن وجب الكلام الآن

لي من الذكريات عشرة ملايين

أو ربما أكثر

إني أشتكي من عطر الزهور الذي سأكتشف

وأنا على مقعد الطائرة اللعينة

غمرني اليأس

إننا لا نحب أبدا بما فيه الكفاية

أمتص فكرتي مثل قطعة خشب

حلمي الجنائزي يصاحب الليل

الليل الذي يحب أن نفتال

الليل الذي يجب أن نفتال

حتى الحياة

خائف أنا

أنصت إليّ

ستذهب لرؤية أصدقائنا الموتى

قرية توارث

وفوقها كل الشقاء الممكن

ذكرى معقوفة كالمسمار

امل مكسور أكثر من زجاج المطر

الغزالة المذعورة كانت تعرف الأسطورة

الخراف الميتة والرجال الذين سُرقوا

سنذهب لرؤية

الورشة الجهنمية لصناع المغامرات

المالانهاية المفروضة على موت النسغ

والمذاق الفظيع للعادة المكتسبة

مع هذا نعيش

أحس بالضجر كل مرة أكون

بمنأى عن عاصمة الجزائر

سنخترع تقويمات زمنية أخرى

سنصهر بعض الكلمات في نعوش الأصدقاء

وبأكفانهم التعيسة نمسح الدموع

سنقول لأطفالنا اليتامى ألف مرة

سوف تلدون أطفالا سيعرفون آباءهم

وسيقولون

أن وطني هو الرجل

اكتفى قلبي بتجاوزاته

وأنا أحس بالضجر في كل مرة أكون

بمنأى عن عاصمة الجزائر

لاحقا

سننظم مقاطع للغناء

أتقزز من البارود

وأفهم في البارود

لكني أفضل خطوبة الزنبق في شهر مايو

شهر يذكرني بقالمة

ولا وجود ليوم فيه غير مشهود

هناك هي الدروب المؤدية نحو المعجر

أفتش عن اسمي بين شاهدات المقبرة

حائرا

من الماضي الذي يحضر مستقبلا

وكنت دوما أنسج الحرافات

على وقع أنغام قادمة

أترغب في أشعة الشمس؟

هاك بعضا منها

تعال

هذي ابتساماتي إليك يا قطي الصغير

السماء زرقاء

والبحر زورى لنا

ضياعي في عينيك

اترغب في اشعة الشمس؟

هاك بعضا منها

تعال

هذي ابتسامتي إليك يا قطي الصغير

لي صباح من اجل الشمس

أهديك نهارا

أتوسل الموجة

كي لا تغرق

كي تذهب صوب وطني

وتروي له حبي الكبير

لا شيء ظاهر

لا شيء خفي

لحظة الحفلة تبدو الموسيقي دون موسيقى

أستمع لأغنية ما كتبتها

لقد سرقت الأغنية

اتحدث بكلمات تخرج من أفواه الآخرين

يتيم إلى القبلات كلما تأتى عرش الفجر

لن يغني طائر الصفراية أبدا

لا تحترق الأجنحة الا بعيدا عن الشمس

لا يبدا الليل الا بعيدا عن الصباح

للكلاب في منفاها بكاء بربري

حين أحب هزاوا

نود أن ينتج أسطوانة

ومن ثم

اعرف

بأنهم يسرقون الغابات...

أودّ التبسم للأغنية

التي رغم كل شيء، ستقول

أن العازف ما كان راضيا

المسيرة الكبرى

أنا نقطة النهاية في رواية تبتدئ

وداخل مقلتي

أحتفظ بقصة حبي خاما

ودون التنكر لشيء منها

أبدأ من جديد .

ما حدوى التمييز بين الأفق والسماء

هل يستطيع فصل الرقص عن الغناء

هذا يرنسي امتدادا لبيتي

أنا نقطة النهاية لرواية تبتدئ

من صحرائي أنسج الأغاني

أحتفظ بقصة حبي

خاما

داخل مقلتي

تقول حقيقتي

أنا الدرس وأنا التلميذ .

******

كثيرا ما تذكرت

راعيا كنت

وبعيني يمتد صبر طويل

لفلاح يتأمل في يدين ترفضان الانكسار

تاريخ وطن

حيث سينمو البرتقال

كثيرا ما تذكرت

راعيا كنت...

قطعتُ الكسرة

تقاسمت حبات التين

زوجتُ بناتي

ابني البكر هو الأمهر على الزناد

روحتي أجمل نساء الوادي

******

للوطن في أرضنا طعم الغضب

داعبت يدي قلب شجرة الزيتون

ذراع الفأس فاتحة الملحمة

رأيت جدي المقراني

يضع سبعته جانبا

ليرى النسور المحلقة في السماء

للوطن في أرضنا طعم الأسطورة

******

أبتاه

لم حرمتني طعم الموسيقى المشتهاه

انظر الآن

هذا أنا

ابنك

أتعلم النطق بلغة أخرى

بكلمات حفظتها يوم كنت راعيا

******

يا إلهي

هذا الليل

ما أطول الليل في عيني

للأم ينادون "يا "مّا" و أناديَ "ما ميرMa mère

أضعت برنسي

بندقيتي

قلمي

اسمي أغرب من سلوكاتي

يا إلهي

هدا الليل

ما جدوى التصفير

حائف أنت

خائف أنت

خائف

وهذا الرجل يلاحق خطواتك

كالمرآة الشنيعة

رفاقك في المدرسة

والشوارع

وسواقيها

ولكن

ما دمتُ قلت لكم بأنني فرنسي

أنظروا إلى ثيابي

ولعتي

وبيتي

أنا الذي من النسب أقيم مهنة

وأقول "تونسيا" إشارة إلى تاجر

أنا الذي أعرف أن اليهودي جندي رديء

هل نحن من الأهالي؟

كفانا

أختي لا تضع خمارا

ولي من الثانوية كل الجوائز

في مادة اللغة الفرنسية

اللغة الفرنسية اللغة الفرنسية.. بالفرنسية

يا إلهي

هذا الليل

ما أطول الليل في مقلتي.

في يوم هو الثامن من مايو

إذن

دوري أيتها الأرض

واصحبي أيا رعود

لقد تركت ، خطئي في غياهب قبوري

ذات يوم

كان الثامن من مايو

كم يصل حجم الضريبة

كي نفهم

وكم يكون عدد المعلمين لمثل هذا الدرس

وكم عازفا نحتاج كي نستعذب الموسيقى !

ذات يوم

كان الثامن من مايو...

كما ينقص المرآة محدها الكامل

في غياب عيون الطفل

حيث تتتابع عيوننا

كما ينقص في الغابات العشاق الكثيرون

كي يقولوا لرياح المساء كم كانت تحميهم

كما ينقص الباخرة المغادرة شراعها

والمنديل الذي يعلق بالذكرى

وكما ينقص النوع البشري رجل

فأنا كنت بحاجة لحديقة لأزهاري

لعطر لأزهاري

ويعدها بحاجة إلى بستانيٍّ

لأصدقائي عيون رأيتها غاضبة

لأصدقائي عيون لمحتها دامعة

أصدقائي الذين يخيطون العـلم الوطني

ريح عاتية

وافقة

عريضة

تاريخية

تمتحننا عنفوان الشباب

كي نثأر لشعراتنا البيضاء

آه

نحتاج إلى خصائل النحل

كي نستحق العسل

كي نفني للأصدقاء.

أعرف تماما

أن "مدريد" لم تمسح دمعها

لم تنشف دمها

أعلم جيدا

أن هناك بالقرب من "غرونوبل"

منصة كبيرة للشرف

وأعرف أنهم قد فقأوا عيني مدينة سيول

وحقول الأرز في الهند الصينية

والسنفونية الحمراء لنواب مدغشقر

نفي سلطان أو شيوعي

أعلم اليوم جيدا

أننا نشترك جميعا في احتكار الشقاء

أبدأ بحساب أصدقائي واحدا واحدا

مات كل أصدقائي

أكف عن الحساب

ومع الناتج الفظيع

وعندما أبلغ اللانهاية

أكف عن الحساب

حين تتحول الكلمات إلى أرقام.

أستمع إلى أغنية لن تجيء

قلبي يتيم رقصة خائفة

سلطان مايو كنتُ

لما أحببتني

ها عاشق السيمات بختار العاصفة

اخترت البسمة التي تطهر قلقي

من أحزان تروى

اخترت البسمة

ليقفز حزني فوق تيار جارف

ويسبح ضد مائه

من أقاصي الزمن أسمع صوت الفلامنكو

وأباديا الحزن كي أشبعه ضربا

سلطان مايو كنت

يوم كان الطقس جميلا

وحيدة كانت غزالتي في عمق الصحاري

أستمع لأغنية لن تجيء

والمطر يساقط
فوق شمس تجفف بسمتها
في كف الماضي
والمطر يساقط فوق حبي
الذي لم يعد يسمي نفسه
يوم كنت سلطان مايو.

لاحقيقة غير الحب الكبير والموسيقى
أعرف آن في الحب حيرة بلا حدود
نحتاج لصحراء
ولصحراء كي نفهم الموسيقى
لنظرة من عينيك كي نفهم اللانهاية

على الياسة
يلعب الطائر دور المجنون
يحتقر بعض الشيء الحب الذي كان سينقر
إنه الطائر الأزرق

السراب

الذي يستحيل إلى أغنية

كنت ابتدعتها منذ قليل

ذات صباح ضاحك

تعرفت على أغنيتي

كانت كئيبة

قالت: بنفسجة

صدقتها حبات الفراولة

وغنت أغنيتي

استعدت رشدي حين أضعت عقلي

صرخت

والقارورة المعادرة صوب البحر

تمددت في رقصها

في إحدى زوايا الحلم

حلم متعب

يعلم جيدا أن جنونا ما يعتري الصحراء

فتعتقد أنها شاطئ

ناديت

كان يجب أن أنادي

هالتي سحابة

وطائرتي ترقص في عينيك

تطلب شرارة

نحمة الخلاص في خاتمة اشتفق.

جسد الغريق يجرهه الماء

شعره يحيك قصب حلم يسيل

وحده الطائر يحرسه

إلى إحدى زوايا الحلم ينقل روحه

هناك

حيث يستطيع الغارقون الغناء..

هنا ينتهي التنافر

وبين دراعي تنمو الإنسانية

من قبل

كان هذا ما قبل تاريخي

لحبي طعم العوالم الراقصة

نسافر داخل الموسيقى

لنوحد الرجال

هل فيكم من يشرح لي

تألق الموت

فخامة الحياة

لي مهمة

إني أغني

مبدئي حب الغناء

أمنع عطلتي لمخدّام الشقاء

تعالوا أيا أطفال

أنسج لكم حكاية

اقطف نجمة وأكتب الكلمات

كان يا ما كان

هناك

في وطني

صديق الطفولة

طفل

يرجو بالونا

كانت عيناه كالأرض المدورة

قتلوه في سجنه

دون بالونه

وكلما رأيت الآن بالونا

لا أصدق أبدا أن الأرض مدورة

لي مهمة

ولي أن أصفي للأرض...

جئت حينما حنث كالعاصفة

وأعود ادراجي قطرة قطرة

أذهب

أغادر

أمنح الحق للحمقى

أعلم أننا نموت لأننا عشنا

هذا شاعر هنا

وذاك شاعر هناك

بليدا أن نموت بعيدا عن قبورنا .

سكوت

عند حدود الموهبة

جمركي يمارس مهنته

فكرة تعبر الحدود

لم يكن لديها ما تصرح به

أيتها المومس فوق ورق القضيم

أحذرك أيتها العجوز

سوف يرمي التاريخ في مزبلة النسيان

أعقاب سجائر الأدب

والأبواق الصدئة.

صـور

أذكر

كانت السبل زرقاء

وكان البحر طيبا

بابتسامة فظة

يوشح وجهه الجبل

تتملك يدلك رعشة

مثل القلق

كان الطقس حارا في القبلات

والعنب ورديا

شلالات ضفيرة بللت عيني

على الطريق بقيت نغمة المندولين

هجرني الحلم

حين المساء في عيني استراح

لأن الشلالات لها طعم انبلاج الصباح.

ما كتبت يوما سوى لأستحق أمي

أمي أبدا جميلة

دائما كنت أرافقها

ينادونها حمامة

وبالعربية ذاك اسمها.

حين يذهبون في الأسطورة

تفتح الأسطورة لهم ذراعيها

كنت حدثتهم

كنت أحسست بلمسة أياديهم

كان لهم أطفال

وآخطاء

يحسنون الابتسام

حتى في عز الظلام

كنت ألقاهم حينما أشتري الجريدة

كانوا لي أصدقاء

لم يكونوا مجرد كلمات

أو أسماء

أو أرقام

كانوا ألف يوم وعشرة سنوات

من ذاتي

الأكل الذي نتقاسمه

سيجاره الضجر

كانوا يعرفون أبنائي جميعا

وكنت أمنحهم كل قصائدي

وكانت أمي تحب طيبتهم

كانوا أصدقائي

تحدثت إليهم

حين يذهبون في الأسطورة

تفتح الأسطورة لهم ذراعيها

صاروا رحاً و وطناً لي

لن ألتقي أبداً أصدقائي

صديقي المنجميّ

وابتسامته التي تضيء مرارة النظرة فيه

وصديقي الجزار

والمعلم

معذرة لكم جميعا

لأنني على قيد الحياة

لكنني أكثر يتما من ليل بلا قمر

حين يذهبون في الأسطورة

تفتح الأسطورة لهم ذراعيها .

فوق الطاولة مصباح أحمر
وعند قدميَّ الكأس
يرقص ظلك.
إني أتألم
أعيدوا إليَّ المروج
فاتنة الزّهرة
زهرة الحرية

يقول الدوري
يصيبني الضجر داخل البيانو
أعيدوا إليَّ الغابة التي اسمها
الموسيقى

تقول كلمة أحبك
إني أتألم
يتملّكني الملل فوق الورق
أعيدوا إليَّ القبلات / محطوطاتي

قالت الصورة

يعتريني السأم

أعيدوا إليّ بسمة

لحظة ابتسمت عيناي

كم يؤلمني ان أكون مرآة

قالت لي الصورة المغشوشة بالحياة.

مات رفيقي وسط القيثارات

وفي أغنية للقمح

كم غريب

فقد كان شابا

كان حزائريا

كتب حكايتي الجميلة

كان أفصح من أغنية القمح

كان بوديّ أن أقول شكرا

عازف أنا

ما دامت الموسيقى تشع منه
أبقى في حالة الاستعداد
أمام العلم الذي سننجزه
وأقول لك شكرا

في القمع
الآن
أعرف اليعسوب

أيها الينبوع
انتقم له
نفّرتنا من الجرار
أيا زهرالخشخاش ارتم بين ذراعيه
قل له
أن يحلم بالقصيد

نفّرنا من الجـرار

وامتلئن بالبارود أيا هذا القلب.

المطر يبلل وطني

الموت

والأسطورة

سنبلة تكفي

كي يغني القمح

لحظة تكفي

كي يحط الليل

وأخرى كي يولد النهار

الخبز

نأكله

بألف تردد

تمائة شكل من الحذر

رجلٌ

أحد الأصدقاء

ينام في الأسطورة

يا أمي

الآن وجب البكاء...

وجب أن تبكي هذا الطفل

الذي صار ابنك

منذ اختار أن يناديك

أمي

فبابسم مواسم الجني سمّاك

أمي

ومن تديك ذاق طعم الصياء

المطر يسّاقط على الأسطورة

وأسطورتي تؤلمها عيناها َ

تحاف الموت

حين تهيج الغربان

شهية طيبة أيها السادة

فهو لم يكمل الثلاثين من العمر

كان صديقي

صاحب النظرة الممتدة والواقفة

لكن الغربان تسرق البذور

والفلاح يعرف

فخاف على ثلمه

لكن النسور تحصد القمح

وقلبي يعرف

فخاف على أغانيه

حلم ساخن

في أرض الجزائر

خياط الأعلام هو رزاع القمح

في الحرب ·

رأى أن الحرب عين المنطق

ولكي يطرد الشتاء

فضل أن يموت في الصيف

أنصتُ لأغنية ما انفكت تعود

أغنية الصرح التي أسمع

في أرض الجزائر

جنود الصباح هم أطفال الحُب

ينامون في حقول القمح

كي نتذكرهم

أرقص أبا رهر الحشحاش

مات رفيقي وسط القيثارات.

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجبال على حق

ثقيلة خطوة الموتى

ما أسامك

اسمي جثة

كنت البارحة حيا

كانت لي بنات

شربتُ الحليب

والماء

والأكاذيب

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجبال على حق

هذي بقايا القلب

وهذي بقايا الأكواخ

وددت استفارها مع غيمة للرجاء

أكتب الموتى

فقال لي الموتى

دعاء الموتى يتحول أحيانا

إلى مهد لأغاني الحب .

وبعدها الموسيقى !!!

يا للشقاء

الآن

لم تبق غير خطوات الموتى

الثقيلة

نغمة توشح الصباحات

الشقاء الجزائري

ما أكبر هذا الشقاء

يعني أغنية الفد المشد

تقاعس الإنسان

ثم بكى في حصص الفرح

يتشنج الموتى من القهقهات القادمة

على الكوخ المحترق

يفرسون الأغنيات

وفي دمهم

السواقي

وفي عيونهم

ابحر الباقي

ها قمع المجاعة نشتد لحل الفلامنكو

أيها الراعي

وحب الغناء

المشاعل رحال

يتشنج الموتى من القهقهات العادمة

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجدال على حق

يحميكم الموتى

الذين لهم القدرة

والشرف العظيم

حين رصوا لنا الحياة

مثلما نحن نضع زهرات

فوق الصخرة الهادئة

إني أتمسى

دون أن أعتنق الصلاة

يقيني كبير في الفرح

الفرح الذي سيكون جزاءاً تاريا

فرح تلك القرية

أين سيبولد أطفال

يتوجهون الى المدرسة

من فرحه جُن المرح

مثل السعادة الأولى

فرضيتي عين اليقين

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجبال على حق

حفلات الزفاف والحلوى

سيقف جميعنا

وتذهب الجبال كي ترتاح قليلا

الفرح يغمر وطني

المناديل تصبح للزكام

لا للأحزان

القماش يصبح للفراش

لا للأكفان

الفرح

أسهل من كلمة

صباح الخير

في اليوميات الرائعة

هي المنزل الذي سيشيّد

أو الذي سيعاد ترميمه

سيكون للفرح

اليتيـــم

أمٌ.

الآن وانا أحيا

من أجل الرياح العاتية

أي

من أجلك

أشكو أصابعي كلها

والطريق هنا من أجل رجليّ

ما هذا الطريق الذي تسلكه الشموس

حيث القمر على حق

حيث القمر يحمي البشر

باريس لا تفقه شيئاً

عندما ترى أن باريس هي حجتها

أضحكُ

حين تدفع القطط بالفئران إلى الرقص

وأفكر في الإله

الذي لم يستوعب كل ذلك

أرتاب من القطط ومن الفئران سواء

آعشق أكثر هذه اللحظة

مانحتي للحياة

لحظة اسمها

أنصتوا

صموا اذانكم

افتحوا الأبواب على مصراعيها

لحظة اسمها

أصدقاء سألتحق بهم بعد مدة

اسمها

منزل حيث أمي تنتظر بصبر

اسمها

آه صديق القيارات المهشمة

اسمها

الجـــــــــــــــزائر.

قلت هذا الاسم حينما ولى الشتاء

لم أخترع شيئا

ما عدا طريقتي في البقاء

كلّيّة ضميري المشبع باليقين

لك كل الأحجار البيضاء

من المجازة سنعبر أنهار الليل

في المعبر تسمعني جيدا

كي يجد الماء الذي يتهدده الغرق

على الضمة

من يوصله إلى الضفة الأخرى.

يتملكني الحزن حين تخطئ الباقات

حين تذبل الأزهار

أو حينما يتحول البستاني إلى حفار قبور

لكن

منذ اللحظة التي جاءت فيها فكرة

للزهرة

كي تلعن بائعي الأعشاب

أفرحُ

أفرح كثيرا
كالعصفور
الذي يُمنع من الالتحاق بمدرسة الموسيقى.

جندي وخطيبته
ينظران في عيني بعضهما البعض
فاضت عينا باريس بالدمع
كان العسكري الصغير
مثل مقطع موسيقي مهشم
كان ذاهبا للحرب
أمطرت في سماء باريس
وفي عيني خطيبته
حنذي والفدر
يحدقان في عيني بعضهما البعض.

كنيتي في الحرب
"الحمامة"

هذا ممتع أليس كذلك.

الخريف في راحة يدي

مثل العصفور

وفي دموعك أبكي كالعصفور

هل تذكرين الصيف

أشجار الصنوبر الراقصة

البحر عند أقدامنا

القبلة الملحّة

الخريف في راحتي

- ما الذي قتله يا حبيبتي؟

- عشرون قتيلا

في قريتي...

عامل من شمال إفريقيا

مات اختناقا في كوخه

خاتمة أغنيتي الأولى

شهقة

فاطمة باعت جسدها

بقطعة خبز

والتاريخ يكتب

بجمع تفاصيل تافهة

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

هذي السماء كفن

لكنها لنا

الشعلة

الأحد المفقوء العينين

الربيع المسلوب من أشيائه

لا وجود ليوم لا نذكره

موسيقى الشقاء رسمت سمفونيتي

سهلٌ أن نضع كل شيء
على ظهر الشقاء
لكن بربكم اخبروني
ما اسم هدا الشقاء

كان لي رفيق
لكن المسكين اختار
إضاعة رفيق له

رأيت السنابل تحني الرؤوس
والخراف تعشق الذئاب

ذهبت ابتسامتي قاصدة الحج
سهلٌ أن نضع كل شيء
على ظهر الشقاء
لكن بربكم اخبروني
ما اسم هذا الشقاء

أضعت الكثير من أيام الخميس
في عينيّ المسافرتين
وربما هناك في سيول
كانت خطيبتي
قالوا شعرك بني
على وزن أنت قاتل
وبعدها فقأوا عيني قيثارتي
سهلٌ أن تضع كل شيء
على ظهر التعاسة
لكن بربكم احسروني
ما اسم هذا الشقاء

أنا خلقت كي أحاور البنفسج الوديع
طرّزت رقصة الفالس فوق الصدار
المرصع بالأزهار
لكنني
رأيت ذاك الفلاح

يتحول إلى قاطع طريق

حين أحب زوجته

كما أحب الوطن

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

لمحتُ مدينتي

حالة الحصار

وزحف الساعة نحونا

يعني

أن الشمس اختارت مهدها

في نواحي المشرق

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

جاري المفضل عندي

ما زال جنديا

لم ير بعد

الفرح الذي حضّره

والحملة

لأولئك الذين تقام لهم الحفلات

سهلٌ ان نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

تعمل آمي و الحمامة بنفس الاسم

تبكي امي كل يوم

شعراتها البيضاء رجال درك

تعرف أمي الاغاني

التي ننصت إليها بصوت منخفض

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

خبّروني

عن القبلة التي ما أخذتُ

خبروني

عن الصحراء التي لها الأغاني تسحتُ

خبروني

عن الغزالة التي اغتالها الإنسان

خبروني

عن الزهرة التي من دون بستان

حدثوني

عن سبب الآلاف من الجنون

خبروني

عن الخمرة التي تغيب عند الخوف

خبروني

عن وجل الأسود في المنفى

أخبروني قبل كل هذا

كيف حال الجـــــــــــــزائر.

أمنحك شاطئاً

البحر المغمى عليه

وهذا العصفور الميتم

وبعدها

لك قلبي

الذي لا يحسن القتال

حينما تعرفتُ على قلبي

كان يشبه الصيني الصفير

والشمس تصحك صحكتها الصفراء

كلما أرسلت يدك الكلمات.

مهمة مكتملة

عند عودة السلم

تقول الحمامة

أتركوني و شأني

أستحيل إلى طير من جديد.

المترجـــــم :

عبد السلام يخلف، حاصل على شهادة الماجستير في الدراسات الدولية من جامعة ساوثامبتن البريطانية ويحضر لشهادة الدكتوراه. صحافي عمل في الكثير من الجرائد، مهتم بالقضايا الثقافية وخاصة الأدب والفنون التشكيلية. مصور هاوي أقام الكثير من المعارض في مختلف مدن الوطن ونال الكثير من الجوائز، يكتب الشعر والقصة ويهوى أدب الرحلة والترجمة. أستاذ بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة قسنطينة.

ikhlefabd@caramail.com

مالك حداد

الشقاء في خطر

أمنحك شاطئنا
البحر المغمى عليه
وهذا العصفور الميتم
وبعدها
لك قلبي
الذي لا يحسن القتال

اننا لا نحب أبدا بما فيه الكفاية
أمتص فكرتي مثل قطعة خشب
حلمي الجنائزي يصاحب الليل
الليل الذي يجب أن نغتال
الليل الذي يجب أن نغتال
حتى الحياة

isbn : 9947-804-14-3
Dépôt légal : 1298-2005

مديرية الفنون والآداب
صندوق دعم الابداع

السعر 100 دج